مصر فى قلوب المصريين

لم ينس «سعد الشاذلى» طالب الثانوى تلك الإجازة التى عاد فيها إلى «شبراتنا» سعيدا يحمل إلى أسرته نتاج قراءاته وثقافته السياسية الجديدة التى ستفسح له مكانا فى مجالس الكبار، وبينما كان عقله يسترسل فى توقعاته وهو يسرع الخطى نحو بيت أبيه إذا بالبيت وقد أضيئت أنواره واكتظ بالناس فى مظهر ينبئ بانعقاد المنتدى الاجتماعى الأسبوعى فأسرع الخطى ليفسح لنفسه مكانا بين الحاضرين.

ولما وصل إلى البيت وجد «عبد السلام باشا الشاذلى» ابن عم والده الذى كان يشغل منصب مدير مديرية البحيرة (محافظ البحيرة) يتوسط الحاضرين! وكان رجلا مهيبا اشتهر بين أهله وعزوته بمواقفه الوطنية المشرفة، وكان بحكم عمله يحمل فى كثير من الأحيان أخبارا سياسية تهم الجميع، مما أضفى أهمية لوجوده فى منتدى بيت «الشاذلى» فى ذاك اليوم. كان «عبدالسلام باشا» يروى فى زهو عن جرأته فى تحدى السلطات الحاكمة ورفضه الاستجابة لتنفيذ ما يتعارض مع مصلحة وطنه مصر، والكل يستمع إلى روايته فى انتباه شديد ويشعرون بالفخر لشجاعته ووطنيته، وهم يتطلعون إليه بطلا من عائلة الشاذلى يدافع عن أهل وطنه فى جرأة وتحد، وكانت مثل هذه المواقف تصيب «سعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره بالإبهار وتنبت فى عقله حلم

البطولة. ولكن للأسف لم تدم فرحة آل الشاذلى لساعات حتى أتت رياح الأحداث بما لا يشتهيه أهل «شبراتنا» خاصة عائلة الشاذلى ،عندما دفع «عبد السلام باشا الشاذلى» ثمن جرأته فى الدفاع عن الحق وتحديه للسلطات الحاكمة التى أحالته فى اليوم التالى إلى المحاكمة التأديبية.

وكانت الصدمة كبيرة على أهل «شبراتنا» بصفة عامة، وعلى عائلة «الشاذلى» بصفة خاصة، إذ كانوا يخشون مما تحمله الأيام القادمة من توقعات لعقوبات تؤثر على منصب «عبد السلام باشا» فى عمله، الذى كان يُعد فى عيون الجميع بطلا من قريتهم صنع بشجاعته مثلا أعلى لشباب «شبراتنا» وعزوة وطنية عاشوا فى ظلها.

وانتهت إجازة «سعد الشاذلى» دون أن يعرف بنتيجة المحاكمة التأديبية لعمه ليعود إلى دراسته فى القاهرة قلقا حول المصير المجهول الذى ينتظر «عبدالسلام باشا» ، كل ذلك كان يدفع بالطالب «سعد الشاذلى» أن يعبرعن إحساسه وغضبته الوطنيه بمشاركته فى مظاهرات الطلبة ضد الاحتلال والسلطات الموالية له حتى أصبحت السياسة هوايته،وهو يستعجل الأيام أن تمر لتأتيه بالإجازة التى سيعود فيها إلى مجالس الكبار فى بيت والده ليحكى لهم عن دوره الجديد فى مظاهرات القاهرة.

ودارت أيام الدراسة دورتها لتأتيه بأيام الإجازة التى كان يترقبها، وما إن وصل «سعد الشاذلى» إلى بيت والده حتى وجد نفس المشهد ونفس الزحام الذى شاهده من قبل، جمع من الحاضرين يتوسطهم عمه «عبد السلام باشا»، هذه المرة كانوا يتفحصون أوراقا هامة ويتبادلونها بفرحة

فيما بينهم، وعمه يروى لهم مزهوا - كعادته مفاجآت محاكمته التأديبية.

كانت المفاجأة أنه بعد استعراض «عبد السلام باشا» أمام مجلس التأديب للحجج والبراهين التى تؤيد وجهة نظره فى انحيازه لصالح بلاده، إذا بالمجلس التأديبى يبدى إعجابه الشديد بآرائه، ويشيد بوطنيته حتى أعلن المجلس التأديبى اقتناعه الكامل بوجهة نظر «عبدالسلام باشا»! ولم يكتف المجلس بتبرئته بل ترجم إعجابه بوطنيته فى حيثيات الحكم الصادر لصالحه فى أوراق رسمية وزعها « عبد السلام باشا» على الحاضرين ليقرأوها فى سابقة هى الأولى من نوعها وشعور بالفخر يلف الجميع.

الشاذلى يعيد إلى عائلته شهرتها العسكرية

كان لهذه الواقعة أثر عظيم فى نفس «سعد الشاذلى» ولم تفلح السنوات التالية التى قضاها فى دراسته الثانوية أن تمحو تأثير هذه الواقعة من ذاكرته، وتمنى وقتها لو يُسعده المستقبل بمنصب كبير يقابل موقع عمه «عبد السلام باشا» لينال شرف البطولة فى نصرة وطنه وينال من ورائها شعبية خاصة بين أهل بلدته وعشيرته فى «شبراتنا».

ونجح بالفعل الطالب «سعد الشاذلى» أن يحقق أول خطوة لطموحاته بنجاحه فى الحصول على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ليفسح بنجاحه مكانا مميزا فى قلب والده الذى تحمس لالتحاقه بالكلية

الحربيـــة مصنع الرجـــال وطموح الأبطـــال، يدفعه الأمل فـــى أن يصبح ابنه « ســـعد» يوما ما واحدا من هؤلاء الأبطال العسكريين الذين يغيرون ببطولاتهم تاريخ الشعوب والبلاد، وترجم والده فرحته بإسراعه بتسديد مصروفـات الالتحـاق بالكلية الحربيـة والتى كانـت مرتفعة فى ذاك الوقت، مكافأة لابنه «سعد» الذى أعاد لعائلته صلتهم بالحياة العسكرية من جديد، والتى كانت قد انقطعت بانكســار ثورة عرابى وســقوط مصر تحت الاحتلال البريطانى. وأصبح «الشاذلى» أصغر طلاب الكلية الحربية فى ١٩٤٠م وعمره ١٧ عاما. ليقضى عاما ونصف العام فى دراسته بالكلية الحربية حتى تخرج منها فى عام ١٩٤١م برتبة ملازم.

ونجح الملازم «ســـعد الشـــاذلى» أن يحظى بشـــهرته العسكرية بعد تخرجه عندما واتته الفرصة التى شارك فيها مقاتلا فى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م مع القوات المصرية والبريطانية فى مواجهة القوات الألمانيـــة فى الصحراء الغربية بمصر، وعندمـــا صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية فى هذه المواجهة بالانســـحاب شارك «الشاذلى» مع الضبـــاط والجنود فـــى تدمير المعدات المتبقية فى وجـــه القوات الألمانية المتقدمـــة آنـــذاك، وكان لهذا الحـــدث صدى كبير فـــى الجيش المصرى جعلت «الشاذلى» يضع أقدامه على أول طريق شهرته العسكرية مع أول حرب شـــارك فيها بعد التخرج، فى أول تواجـــد له فى ميدان القتال. فماذا كان ينتظر الملازم«سعد الشاذلى» فى مشواره العسكرى القادم؟